" هل هو هروب؟.. انسحاب؟.. قوتان متضادتان أفنت كل منهما الأخرى, وتفتتا إلى شظايا كونية ابتلعها العدم.."

أجابت بحيادية عندما سألها عن صمت قلمها المقلق وطول الغياب, والحيرة التي زجته فيها:

- قلمي لم ينسب.. شيء ما يمسكه.. يكبله.. فقد الرغبة في البوح.. الصمت فقط ما أبحث.. ما يُبهج.. ما يملأ قلبي بالسكينة..

تملكته الهواجس, تلاعبت به, قال في نفسه متفكرا:

"كلمات بسيطة في ظاهرها.. عميقة في باطنها.. أهو الفراق بشكل لائق؟!.. الزهد فيه.. هو هو.. من نطق قلمها على يديه أبجديات الكلام.. أهو انفلات من محبسه؟!.. تحرر!!.. كسر لقيد جميله!!.."

احتاط, وهو يسأل بشيء من المراوغة:

- والأدب؟!.. ما يجمعنا.. ما نلتقي على مائدته الرحبة.. فنطعم بطون عقولنا.. أتعودين لصحرائك المقفرة, حيث الجوع والعطش, وأيام تنهشك كالسياط, تدمي روحك الهشة الرقيقة؟!..

همست, تتخير الكلمات, وعيناها تهربان إلى اللاشيء:

- أقرأ.. هي سلوتي في دنيا ضاعت فيها الأحلام.. وطريق يشرف على النهاية..

مزقته نغمة البؤس تعاودها, وتقذف بها إلى بحور الألم.. تلمع عيناه بخيبة.. محتدا يقول:

- كيف سقطتي مني؟!.. أجيبيني؟!.. كيف فقدتك؟!..

بعصبية, وعينين نديتين بدمع حبيس, تصرخ:

- قلت لك أقرأ..

شعرت بحدة صوتها؛ فاستكانت.. هي لا تقدر على حزنه.. أردفت:

- لا تقلق.. ما زلت أهيم في سمائك الرحبة.. ليس لي سواها..

اتسعتا فتحتا منخاره, وضيق من عينيه الواسعتين. سأل في حذر مترقب:

- تقرئين لمن ؟..

بتردد أجابت:

- لآخرين..

كاد أن ينفجر.. يصرخ.. يبكي.. حدث نفسه بصوت ممتلئ بالمرارة:

"وأنا ؟!.. أين أنا ؟!.. هل فقدتك ؟!.. هل أرهقتكِ طبيعتي العصية ؟!.."

كعادتها قرأت ما يجول بخلده, همست برقة:

- لست غاضبة منك..

جاء عليه الدور ليهمس بصوت خافت, مترجيا هذه المرة:

- فلنعد لنقطة البدء.. ونجبر ما انكسر.. بالتأكيد سأتعلم من الأخطاء..

تبسمت, فيما تحوم كفراشة, قبلما تبتعد عن قبس ضوء كاد أن يحرقها, ليقرأ على وجهها صافي النقاء ما لم تنطقه:

"لا مفر.. لا سبيل للرجوع.. حان وقت الرحيل.. لا مفر..".